

## المبحث السابع: التواضع

يقال: تواضع: تذلل وتخاشع<sup>(١)</sup>، والمراد بالتواضع: إظهار التنزل لمن يراد تعظيمه، وقيل: تعظيم من فوقه لفضله<sup>(٢)</sup>.

والتواضع صفة عظيمة وخلق كريم يجب على الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم، ولهذا مدح الله المتواضعين فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٣)</sup>، أي يمشون في سكينة ووقار متواضعين غير أشربين ولا متكبرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلما، وأصحاب وقار وعفة<sup>(٤)</sup>. والدعاة إلى الله تعالى إذا تواضعوا رفعهم الله في الدنيا والآخرة؛ لقول النبي ﷺ: «ما نقصت صدقةً من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه»<sup>(٥)</sup>.

وهذا ما يفتح الله به للداعية قلوب الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويجل مكانه<sup>(٦)</sup>، أمّا من تكبر على الناس فقد توعدده الله بالذل والهوان في الدنيا والآخرة؛ لأن الله ﷻ «العزُّ إزاره، والكبرياءُ رداؤه فمن ينازعه ذلك عذبه»<sup>(٧)</sup>.

(١) القاموس المحيط، ص ٩٩٧.

(٢) فتح الباري، ٣٤١/١١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٤) انظر: مدارج السالكين، ٣٢٧/٢.

(٥) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم ٢٥٨٨.

(٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٢/١٦.

(٧) مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم ٢٦٢٠، ولفظه: «فمن ينازعه عذبه».

وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُسَمَّى العُضْبَاءَ وكانت لا تُسَبِّقُ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبِقَتِ العُضْبَاءُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة للدعاة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلّمه فجعل ترعد فرائصه فقال له: «هُوَ عَلَىكَ نَفْسِكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ» وزاد الحاكم في روايته عن جرير بن عبد الله: «... فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ»، ثم تلا جرير: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، برقم ٦٥٠١.

(٢) الحاكم، ٤٤٦/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ٤٩٧/٤، سورة ق، الآية: ٤٥.